**١ – "إميلي نصرالله"**

الكاتبة الروائيّة: فاطمة محسن القرصيفي
أستاذة لغة عربية في كلية الحقوق والعلوم السياسية الجامعة اللبنانية
عضو في اتحاد الكتاب اللبنانين
fatimakarssifi@hotmial.com

**Emily Nasrallah**

A value, a symbol,،and a writer (novelist) Emily Nasrallah recapitulated in her character, as well as her literature, many of the values and symbols. Through my study, I've tried to approach the context of her value.

"The sleeping Amber" (Al Jamar Al Ghafi) about the internal and external emigration (migration – immigration)

This novel is not Nasralla's first or last novel. Many novels preceded it and she wrote novels before it, and kept writing till she passed away .

Through this novel, she wanted to uncover the secret beneath the ashes of alienation.

"Emily Nasrallah" wrote and traveled with the characters of her novels, but she stayed the novelist woman issues away from audacity. This way her writings were kept within the frame wore of literature ،which stays as a witness on a certain era and environment .

….Emily's literature is a pioneer model simplifying the flow of Arabic novel. Her literature has brought her to be on a high، respectable and pioneer rank among her peers.

إميلي نصر الله:

قيمة وقامة، رمز وقلم .....

قامة بحجم لبنان، أكبر من أن تكرّم في سطور .....

أجدني صاغرة أمام شخصها بكلّ ما اختزنته من قيم .....

كريمة يكرّم من يدنو منها .....

... اختصرت "إميلي نصر الله" في شخصها كما في أدبها الكثير من الرموز والقيم، في الأصالة والرفعة، الجديّة والمثابرة، الصدق والوقار، الشفافيّة والتضحية والكرم. أسلوبها رحب مثلها، لغتها سهلة كآفاق الحقول وبهاء السنابل، معطاء كريمة كالأرض الّتي أحبّتها.

رفيقة منعشة للروح، مذكّرة بأنّ الجمال رقّة عطاء ونقاء أصالة. جميلة ناصعة كإطلالة حرمون الّذي ظلّل طفولتها، خفرة حيّية كزهور وسنابل حقول الكفير حيث نشأت.

عشقت أصابعها القلم وشغف قلبها بالعلم إذ شكّلت رواياتها علامة فارقة في مسار الرواية اللّبنانية.

لا تكرّم "إميلي نصرالله" اليوم على إنجازاتها فقط بل تكرّم على مسارها النضالي.

أمامها تحني رأسك وكأنّك تجتاز مدخل بيت قرويّ نشرت أغصانها فوقه ياسمينة معطاء ....تنهمر عليك زهورها البيضاء وعطرها الخفي، برفق غيمة وعطاء سماء ونفحات حب.

تفاجئك بحضورها وأدبها .....

أشكر الله الّذي حباني بنعمة معاصرتها وتكريمها رفيعة شامخة في دارتها في بيروت بمعيّة العالم الدكتور "علي مهدي زيتون" إذ أقام ذلك التكريم عبر ملتقاه الثقافي الجامعي، والنعمة الأكبر أن أرشدني حضرة الدكتور "علي" لأحظى بشرف دراسة روايات لها كموضوع لأطروحتي لنيل شهادة الدكتوراه.

كفاني بذلك فخراً ورفعة وقيمة .....

رحمك الله أيّتها السيّدة الجليلة "إميلي نصر الله"، ولتسكني الجنان في عليائك .....

إميلي نصرالله

.....بدأت "إميلي نصر الله" الاهتمام بكتابة الهجرة انطلاقاً من تجربة شخصيّة، عندما هاجر إخوتها، ومثلهم أبناء جيلهم والأجيال التالية، كانت قد انتقلت من الحضن الأول من قريتها الكفير إلى المدينة الكبيرة والعالم الغريب، إذ جاءت كتاباتها في ذلك المناخ من دون فذلكة فنيّة أو أدبيّة وكتبتها بما تجمّع لديها من خبرة وعاطفة.

.....تابعت كتاباتها في هذا الموضوع عندما أصبحت الهجرة قسريّة بسبب الحرب، ولم تعد هجرة الشبّان للبحث عن فرص عمل مؤاتية كانت هجرة المسنين ومن تلك التجربة جاءت رواية "الإقلاع عكس الزمن".

.....وبما أنّ الرحلة لم تنته بعد، فقد تابعت خطتها في رواية "الجمر الغافي"، بالطّبع هناك مسافة زمنيّة تفصل كل واحدة من هذه الروايات عن سابقاتها. من خلالها كتبت في عدة مواضيع، ولكنّها في روايتها الأخيرة "ما حدث في جزر تمايا" أرادت القول إنّ الدرب طويل، وإن الغربة التي ترتسم في المخيّلة الشعبيّة كحلم مشتهى ليست كذلك. إنّها بعد نحو خمسة وعشرين عملاً أدبيّا بقيت تمارس طقوس الكتابة نفسها، المزاج، المكان، الشغف، العلاقة مع الورقة والقلم. كانت تدخل في شرنقة صومعتها وتقفل من خلفها أبواب العالم الخارجي، وتدخل في حال تشبه أحوال المتصوفين، وتعيش مع شخصيّات من ابتكارها وتندمج معهم في السّلوك الّذي يخصهم. كتبت عن الجمر الغافي تحت رماد الغربة والمرأة والحرب بلغة تشبهها، وتشبه أحوال كل الّذين غادروا إلى المقلب الآخر من الكرة الأرضية، سواء في القطب الشمالي وكندا، وأميركا وفرنسا .....

ولا يغيب ذلك الشعور بأنّ الاغتراب يحدث كثيراً داخل الوطن نفسه، ويمكن أن يحدث داخل القرية الّتي ما عادت تشبه طقوسها. لكن التحدّي في قاموسها الخاص ألّا يجفّ القلم أبداً في مواجهة كل المتغيّرات، والضّباب والارتباك الّذي تشهده الساحة الأدبيّة، ولم يجفّ قلمها –رحمها الله– إلى روايتها الأخيرة "ما حدث في جزر تمايا" والّتي اعتبرت توثيقاً برسم الأجيال المقبلة عن الهجرة وتبعاتها.

....."إميلي نصر الله" من بين قلّة من الأديبات اللواتي تُعتمد أعمالهن في المدارس، لكنّها لم تكتب بهدف تربوي، إنّما كانت أعمالها ثمار حياتها وتجربتها. كتبت بما ملكته من لغة وأسلوب إذ وجد فيها القارئ ما يبحث عنه من المتعة الفكريّة والأدبيّة أو الإفادة التربويّة، وشكّل ذلك شهادة على تأصّل الأدب وانبثاقه عن خلفيّات كانت من مصادر إنتاجها، إذ كتبت عن قضايا المرأة لكنّها لم تمض في الجرأة إلى حد الابتذال والسوقية وإلى حد لا يعود من الجائز إطلاق كلمة أدب على العمل.

واعتبرت ترجمة كتاباتها جسوراً من التفاهم بين الحضارات وأدّت بذلك إضافة إنسانيّة مهمة.

**الجمر الغافي**

.....إنّه الزمن، وتلك الذكريات الجارحة تجرّدك من حسّك وتدفعك لتسير بقربها وتشبك ذراعك بذراعها وأنت تفكر وتتساءل: أين تلاشت تلك العاصفة الجامحة، الّتي حوّلت أيامك إلى جحيم، ودفعتك إلى حافة الانهيار، فقلعت خيامك وهربت؟.....

ونزهة، كانت تحسبك صريحاً وجريئاً، وتنظر إليك تلك النظرة الرّفيعة، المقدّرة ولو بالكلام المعسول تسكبه في سمعك ولا تدري أن ما ساقك إلى هذه النتيجة الحاضرة لم يكن الرجولة والشهامة، بل الجبن والخوف... و هي نطقت بالحق، حين قالت لك في لحظة انفعال: "إنّك جبان...".

كتبت برؤية كاشفة، ومعاناة إنسانيّة زاخرة، وبأسلوب تعبيريّ ناصع، تحبك "إميلي نصر الله" نسيج رواياتها هذه شاهداً على عصر وبيئة. ومرآة لحركة في الحضارة والتاريخ من خلال نماذج بشريّة تعكس في تصرّفها ومشاعرها وأفكارها أدقّ تموّجات تلك الحركة وتجسّدها برؤية، وعمق، وشمول، وبهاء فنيّ ساطع. أثر أدبيّ يختصر زخم الرواية العربيّة الحديثة، ويبلور أخصّ خصائصها الإبداعيّة تحليلاً وتشويقاً وأبعاداً نفسية وإنسانيّة وحضاريّة قلّ نظيرها في الأدب القصصي المعاصر. رواية تقرأ، وتروى، وتعاد، وتتدارس، وهي إلى ذلك تتويج لمسيرة أدبيّة حافلة، لا تزال لأديبتنا الكبيرة في دروبها المكانة العالية والمرتبة الطليعيّة المرموقة.

**تشكّل العالم الرّوائي في رواية الجمر الغافي**

**للكاتبة إميلي نصر الله**

...رواية رصّعت أحداثها سفراً من ثلاثمئة وثمان وثلاثين صفحة، نظمت ضمن مئة وأربعة وخمسين قسما مرقماً، وتلك طريقة نهجتها الكاتبة في رواياتها.

...وردت الأقسام متفاوتة الأطوال، تماشياً مع الفكرة الّتي قدّمها كلّ قسم في سياق السرد.

القسم الأول[1] تألف من سبع فقرات وحوار قدّم الفكرة الرئيسيّة محرك الفعل الحدث الرّئيسي في الرواية. ينمو الحدث الأساسيّ وصول نزهة إلى الجورة من (ص ٧ إلى ص ٥٠)[2] ضمن تسعة وعشرين قسماً في سرد داخلي يقدم الوصول والزوبعة الّتي أثارها. ويتنامى بتسلسل زمنيّ منطقي تنمو في ظلّه الأحداث، سرد متسلسل تتخلله وقفات وقفزات واسترجاعات ومشاهد، إذ عادت بجبران الذكرى إلى عشرين سنة خلت عندما كان مغتربا في أوهايو، قطع ذلك الإسترجاع وقفة تنبيه تأخذه إلى هدف زيارة نزهة إلى الجورة الّذي رسمته بعد موت "عبد الله"[3]، قسم أتى في فقرتين قصيرتين فقط. يعود بعدها الراوي فيكسر سياق السرد في استرجاع في الصفحة ٥٠. ثم وقفة قدّم الراوي فيها أم هاني وعملها في تجنيد حواسها لمعرفة أي طارئ في الجورة، إلى أن يعود السرد فيسير ضمن تسلسل منطقي فيقدم أحداثاً تتنامى للوصول إلى تحقيق رغبات نزهة وتحقيق الغرض الأهم من العودة عندما أخبرت ليا بسرّها، فالزواج من ديب، فمحاولة تبني رمزية التي أخفقت.

الجميع كان يبحث عن مصالحه، نزهة، ديب... وداع ألماظ لنزهة / تعمد جبران الغياب وليا والمختار وأم هاني، ختمت تساؤلاتهم على ردّ معلّق في الفضاء وحتى أمد بعيد، إذ ختم الراوي الرواية بتساؤل على لسان "سلمى النخال" والذي يمكن أن يكون على لسان الشخصيات جميعها، هل ستكون الحياة في الجورة بعد زيارة

---

[1] الجمر الغافي، ص ٧-٨.

[2] م.س.ن، القسم ٧٤، ص ٣٨.

[3] م.س.ن، ص ٣٣٨.

"نزهة البنا" كما كانت قبلها؟[٤] فقد حققت نزهة رغباتها، وكما أنّ حضورها أثار زوبعة، فإنّ تركها الجورة أثار زوبعة معاكسة **لفت تلك**، وما لبثت أن رقدت الجورة بعدها هادئة واثقة بحضورها وديمومتها، وكانت الولادة الجديدة.

البشر يأتون ويرحلون من كل مكان، وإلى أي اتجاه... وهي باقية في صبر انتظارها. وعلى الجبهة الشّرقية ارتفعت نجمة الصباح، تواجه موجات النور، تتدافع مثل طلق يسبق ولادة جديدة... تفاجئها تتآلف معها إلى حين، ثم تمحوها، بينما تتوسع رقعة انتشارها في تموّجات دائرية طاغية لا تلبث أن تتحوّل إلى نور يبهر الأنظار..."

الحدث المركزي في الرواية :

... الحدث المركزي هو عودة نزهة البنا إلى الجورة بعد موت "عبد الله بو مرعي" في أميركا وتحرّرها من قيد الزواج. فمن الطبيعي في ظرف كظرف نزهة أن تعود إلى الوطن بعد موت زوجها الذي هاجرت معه. لكن عودة كعودتها وإضمارها رغبة أو رغبات عادت تسعى لتحقيقها، من النادر أن تحصل عند وقوع مثل ما وقع عليها، فزواجها من البداية كان زواج هروب من الواقع للخلاص منه، إذ أصرّت وبعد معرفتها بسر عبد الله ومظلومية ليا، البقاء معه ليس لأنها ملاك أحبّته واختارت البقاء معه ودعمه معنويّا، بل لغايات في نفسها من هروب من الفقر وتحرشات رجال القرية، وابتزازه لتحصيل المال إذ أنّه ومنذ الأسبوع الأول بعد إخفاقه معها وعدم توحّد كيانيهما، ملّكها كل ما يملك، فأصبحت المستبدة المتحررة صاحبة النفوذ، نفوذ المال الّذي حاولت من خلاله إشباع عاطفة الحب المفقود بمحاولات إنشاء علاقة رفضها جبران بسبب تربيته وموروثه الثقافي في المحافظة على عرض عبد الله بو مرعي. ذلك الموروث الّذي مثّلت "نزهة" نموذج التحرر منه في بعض المواقف، خصوصا عند امتلاكها كل شيء دون الحب، ما خلا الثقافة والعلم اللذين لم تكن "نزهة" تتمتع بقدرٍ منهما سوى إلمامها باللغة الإنكليزية. عادت تسعى للحصول على حبّها الأول الّذي لم يترك المهجر لأنّه لم يتحمل الغربة بل تركه رفضاً لإغوائها. كما كانت تسعى لإخبار ليا بالمظلومية الّتي تجمعهما بزواجهما من عبد الله بو مرعي. لكن خامة النساء اختلفت وردّات الفعل العكسية اختلفت، "نزهة" المتحررة و"ليا" المحافظة، فكانت النتيجة واضحة متجلّية باختلاف الطموح. طموح واحد حاولت "نزهة البنا" تحقيقه وهو تبني "رمزية" ابنة "سلمى النخال" الّتي رأت فيها طفولتها، فحاولت تبنيها إنقاذاً لها من حياتها، لكن غريزة الأمومة وصفاء سريرة "سلمى" وتصدّيها لقدرها، مثل الكثيرات في القرية اللبنانية وقف حائلاً أمام ذلك الطموح .

خلاصة :

---

[٤] م.س.ن، ص ٣٣٨.

... إنّ الهجرة أكانت داخلية أم خارجيّة ومع المعاناة، فتحت أمام المهاجرين آفاقاً واسعة، خصوصاً من كان الحظ حليفه وخبر كيفية التأقلم مع الشعوب الأخرى وأنماطها في الحياة والمعاملات. قدّمت الكاتبة مفهوم الهجرة بكل أبعادها، وأضاءت على مفارقة حسبان الموت كوّة نور لبداية حياة وخلاص لدى "نزهة" (موت عبد الله)، على المقلب الآخر كان امتحان عذاب وقهر وجهاد عند "سلمى النخال" الّتي كانت تعمل في الكنيسة وفي بيوت أغنياء الجورة لتأمين معيشة ابنتها "رمزية"، إذ كان الموت قدراً يمارس لعبته بعكس موت "عبد الله" بالنسبة إلى "نزهة" .